



(٥٠٧) (٥٢٩)

العدد التاسع

والاربعون

النشاط الرعوي - الزراعي الإيراني القديم كما ورد في نصوص أفيسستا

م.م. رسل أسعد نعيم

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

russul10@uowasit.edu.iq

المستخلص:

اعتمد الاقتصاد الإيراني بشكل أساسي على الزراعة والرعي، وقد لعب الاقتصاد الرعوي دوراً هاماً ومكماً إلى جانب الزراعة في تأمين اللحوم والأصواف والألبان والجلود. يتناول هذا البحث دراسة الاقتصاد الرعوي والزراعي في إيران القديمة من خلال استنطاق نصوص أفيسستا، مبرزاً تحول المجتمع من الرعوية المتنقلة إلى الاستقرار الإنتاجي الذي أرسى دعائم الإمبراطوريات الكبرى. تكمن مشكلة البحث في الفجوة المعرفية التي تحصر النصوص القديمة في الإطار الغيبي، بينما تكشف الدراسة عن منظومة اقتصادية متكاملة يحكمها مبدأ أشا (النظام والعدل الكوني). يسلط البحث الضوء على قدسية الماشية (روح الثور) ودور الأمشاسبندان في حماية عناصر الإنتاج، مع تحليل تقنيات الري المبتكرة مثل الكاريز التي اعتبرت واجباً إيمانياً لعمارة الأرض. كما يستعرض البحث التشريعات الاقتصادية والبيئية الصارمة، بما في ذلك حقوق الحيوان (الكلاب والماشية) ونظام العقوبات الإنتاجي الذي حوّل الكفارات إلى استثمارات بيئية، وإبادة الخرفستر (الكائنات الضارة) كوسيلة لزيادة البركة والمحصول. يخلص البحث إلى أن الاقتصاد المزدبني كان اقتصاداً أخلاقياً يدمج بين الربح المادي والنقاء الروحي، معتبراً عمارة الأرض جوهر الصراع ضد قوى الفساد.

الكلمات المفتاحية: أفيسستا، الاقتصاد الرعوي، الاقتصاد الزراعي، زرادشت، ديانة زرادشتية

Ancient Iranian Pastoral-Agricultural Activity as Presented in Avestan Texts

Asst. Lect. Rusul Asaad Naees

Wasit University / College of Education for Humanities

russul10@uowasit.edu.iq

Abstract:



This research explores the ancient Iranian pastoral and agricultural economy by examining Avestan texts and Pahlavi commentaries, highlighting the transition from nomadic pastoralism to sedentary production that founded major empires. The study addresses the knowledge gap limiting ancient texts to mystical contexts, revealing a comprehensive economic system governed by the principle of Asha (Cosmic Order). It emphasizes the sacredness of cattle (Geush Urvan) and the role of the Amesha Spentas in protecting production elements. Furthermore, the research analyzes innovative irrigation techniques like Kareez, viewed as a spiritual duty for land development. It also reviews strict economic and environmental legislations, including animal rights (dogs and cattle) and a productive penal system that transformed penance into environmental investment, alongside the eradication of Khrafstars (harmful creatures) to enhance prosperity. The study concludes that the Mazdayasnian economy was an ethical economy merging material profit with spiritual purity.

Keywords: Avesta, pastoral economy, agricultural economy, Zoroaster, Zoroastrianism

المقدمة:

تُعد نصوص أفيستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، مرآة تعكس أعمق ملامح الهوية الإيرانية القديمة، فهي ليست مجرد تراتيل دينية أو طقوس تعبدية، بل هي وثيقة تاريخية تشريعية واقتصادية شاملة شكلت دستور الحياة في الهضبة الإيرانية لقرون طويلة. وتكتسب دراسة الاقتصاد الرعوي والزراعي من خلال هذه النصوص أهمية استثنائية في فهم كيفية تحول المجتمع الإيراني من نمط الحياة الرعوية المتنقلة إلى نمط الاستقرار الزراعي الذي أرسى دعائم الإمبراطوريات الكبرى كالأخمينية والساسانية. ومن هنا، يبرز هذا البحث ليسلط الضوء على تداخل المقدس مع المادي، وكيف تحول الفلاح والراعي في المنظور الأفیستی إلى جنديين في جيش النور، يساهمان في عمارة الأرض كفعل إيماني يواجه قوى الفقر والخراب.

تكمن مشكلة البحث في الفجوة المعرفية التي تحصر النصوص الدينية القديمة في إطار الغيبيات والطقوس، متجاهلة الدور الحاسم الذي لعبته هذه النصوص في تنظيم المعيشة اليومية وإدارة الموارد الاقتصادية. وإن السؤال الجوهری الذي يطرحه البحث هو: كيف استطاعت أفيستا تحويل النشاط الاقتصادي (الزراعة والرعي) من مجرد وسيلة للبقاء إلى منظومة أخلاقية وتشريعية متكاملة تضمن



استدامة البيئة وازدهار المجتمع؟ في ضوء افتراض أن الاقتصاد الإيراني القديم لم يكن مدفوعاً بالحاجة المادية فحسب، بل كان محكوماً بمبدأ آشا (النظام والعدل الكوني)، حيث اعتُبر إنتاج الغذاء وحماية الماشية واجباً دينياً يمنح المؤمن مكافأة في الدنيا والآخرة، مما جعل من النظام الضريبي والجنائي والبيئي وحدة واحدة لا تنفصم.

لقد اعتمد هذا البحث على استنطاق متون أفيستا الأصلية، لاسيما أقسام يسنا التي تضم الغائثا (أقدم أناشيد زرادشت)، ونص الفينديداد الذي يمثل التشريع الجنائي والبيئي والزراعي الأكثر تفصيلاً. كما استعان البحث بالكتب البهلوية المفسرة مثل بندهشن والدينكرد وروايات ارداوירاف نامه، بالإضافة إلى المصادر التاريخية الكلاسيكية كرسالة تنسر وكتابات هيرودوت. ومع ذلك، واجهت الباحثة إشكاليات معقدة، منها الطبيعة المأساوية لتاريخ الكتاب نفسه؛ فقد فُقد جُلُّ النسخة الأصلية التي قيل إنها كُتبت بماء الذهب على اثني عشر ألف جلد بقرة نتيجة الغزو المقدوني، مما جعل الاعتماد على الأجزاء المتبقية والتفسيرات اللاحقة يتطلب دقة وحذراً في الربط بين العصور المختلفة. كما أن المصطلحات الأفيسية القديمة تحمل دلالات اقتصادية تداخلت مع الرموز الدينية، مما جعل فك الارتباط بين روح البقرة كمفهوم ديني والماشية كعنصر إنتاجي تحدياً منهجياً كبيراً.

وللإحاطة بجوانب الموضوع، تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسية: تناول الأول البعد الكوني للاقتصاد، حيث تم استعراض صرخة روح الماشية ضد العنف، ودور الأمشاسبندان في حماية عناصر الإنتاج. وركز المبحث الثاني على مظاهر النشاط الزراعي والاستقرار، متناولاً تقنيات الري المبتكرة كالقنوات (الكاريز) وتقديس زراعة الحبوب والأشجار. أما المبحث الثالث، فقد خُصص لـ التشريعات الاقتصادية، حيث تم تحليل نظام العقوبات الإنتاجي، والمسؤولية الشرعية عن الحيوان، والعدالة الضريبية القائمة على القدرة الإنتاجية للأرض، وصولاً إلى العلاقة بين التطهير البيئي وزيادة الخوارنه أو البركة الإلهية في المحاصيل.

وفي ختام هذه المقدمة، يطرح البحث تساؤلات حيوية تحفز على التأمل في هذا الإرث الحضاري: لماذا احتلت الكلاب والماشية مكانة قانونية تقترب من مكانة الإنسان في التشريع الأفيسي؟ وكيف استطاعت التشريعات القديمة تحويل العقوبة الجنائية إلى استثمار بيئي يخدم المزارعين والفقراء؟ وهل يمكن اعتبار إبادة الخرفستر أو الكائنات الضارة أول نظام عالمي لإدارة الآفات بدوافع عقدية؟ إن الإجابة على هذه التساؤلات هي ما يسعى هذا البحث لاستكشافه، ليثبت أن الاقتصاد في إيران



القديمة كان اقتصاداً أخلاقياً بامتياز، يرى في ازدهار الأرض بهجة للخالق وفي إهمالها نصراً للشياطين.

أولاً: البعد المزدنسني للاقتصاد الرعوي والزراعي في الأفيستا

يمثل النشاط الاقتصادي في الفكر الإيراني القديم، كما تجسده نصوص أفيستا (الأفيستا)، ركناً أساسياً في العقيدة الدينية^(١)، حيث لم يكن يُنظر إلى الرعي والزراعة كأعمال دنيوية بحتة، بل كواجبات مقدسة تسهم في الحفاظ على نظام الكون (آشا)^(٢) في مواجهة قوى الفوضى والشر (دروج)^(٣). يعتمد هذا التصور على رؤية كونية ثنائية تقسم الوجود إلى عالمين: عالم أهورامزدا الخير، وعالم أهريمن الشرير^(٤)، ويصبح الإنسان (المزارع والراعي) جندياً في جيش النور من خلال عمارة الأرض وتربية الماشية. وفي هذا السياق، تصف النصوص الأرض (سبنتا آرميتي) بأنها تبلغ أوج سعادتها "حيثما يزرع المؤمن أكثر ما يمكن من الحبوب والكلأ والثمار"^(٥).

تبدأ القصة الاقتصادية من لحظة الخلق؛ فوفقاً للأساطير الأفيسستية والبهلوية المفسرة لها، خلق أهورامزدا في البداية الثور الأول أو البقرة الوحيدة الخلق كنموذج أولي لكل الحيوانات النافعة. وعندما هاجم أهريمن العالم وقتل هذا الكائن المقدس، لم يكن ذلك نهاية للثروة الحيوانية، بل تحولاً كونياً؛ إذ نُقلت نطفة الثور إلى القمر حيث طُهرت، ومنها نشأت جميع أصناف الحيوانات والنباتات المفيدة التي يحتاجها الإنسان في معيشته^(٦).

يمنح هذا المنظور المزدنسني الماشية قدسية كبرى؛ فهي ليست مجرد وسيلة للغذاء، بل هي تجلٍ لروح الخلق الأولى. وتؤكد النصوص: "أتقدم بقربان كامل ... إلى القمر الذي يحمل في ضوئه على بذرة الأنعام"^(٧). ويُفسر هذا الارتباط بين الماشية والقمر سبب نعت الماشية في الأفيستا بأنها

للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

(١) A. V. Williams Jackson, Zoroastrian Studies: The Iranian Religion and Various Monographs, (New York, 1928), p. 135

(٢) محمد حسن رزايو، زاده عيرب يعل، بررسی ساختار های اقتصادی ارداویرافنامه، مجله پژوهش های تاریخی ایران و اسلام، شماره ٢٢، بهار و تابستان ١٣٩٧، (زاهدان، ١٣٩٧)، ص ٦١

(٣) Mary Boyce, Zoroastrians: Their Religious Beliefs and Practices, (London, 1979), p. 19

(٤) A. V. Williams Jackson, Zoroastrian Studies..., p. 29

(٥) عروج نیا پروانه؛ هوشنگی، لیال، متون دینی زرتشتی و محیط زیست: نقش انسان در آبادانی زمین و طبیعت، پژوهشنامه ادیان، سال دهم، شماره بیستم، (تهران، ١٣٩٥)، ص ٥٥٠

(٦) K. E. Eduljee, Were Ancient Zoroastrians & Aryans Vegetarian?, (West Vancouver-March 2015), p. 28

(٧) أفيسستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، مجموعة مترجمين، إهداء خليل عبد الرحمن، تحرير عبد الوهاب عزام، (دمشق، ٢٠٠٨)، هائيتي: ٧: ١٣.



ذات نطفة القمر، ولماذا يعتبر الراعي الذي يحميها حامياً لهذا النور الإلهي على الأرض. ” ومن أجل القمر الذي يحتوي على بذرة الكاين [بذرة الماشية]“^(٨).

يتجلى في مطلع هايتي ٢٩ نص شكوى الماشية، وتعد هايتي ٢٩ هي جزء من الغاثة التي نطق بها زرادشت نفسه - من أعمق النصوص التي تربط البعد الديني بالاقتصاد الرعوي. يصور النص صرخة روح الماشية الموجهة إلى الخالق، وهي تشتكي من الظلم والنهب والعنف الذي يمارسه الغزاة والرحل (الديو) ضد المجتمعات المستقرة. تقول النصوص الأصلية: ”تصلي لكم روح الثور، من الذي خلقتني؟ ولأجل ماذا؟ يرهقني أيشما [شيطان الغضب] الشرير، يقهرني الحقد والعنف. ليس لي سواك راعٍ فاجعل لي طيب المراعي“^(٩). وتُمثل هذه الشكوى في جوهرها أزمة اقتصادية واجتماعية لمجتمع رعوي يسعى للاستقرار والحماية ضد أيشما (روح الغضب والنهب). وبناءً على هذه الصرخة، يقع الاختيار الإلهي على زرادشت ليكون هو الحامي والراعي الذي يضع الشرائع التي تحمي القطعان وتنظم الرعي. وبذلك، يصبح زرادشت في الفكر الأفيستي أول راعٍ بجانب كونه أول كاهن وأول محارب^(١٠).

يتجلى من جانب آخر البعد الديني للاقتصاد في تقسيم المهام - عناصر الإنتاج - بين الأمشاسبندان، وهم الكائنات النورانية الستة التي تعاون أهورامزدا. فكل واحد منهم مسؤول عن حماية خلق مادي يمثل عنصراً من عناصر الاقتصاد القديم وهم: فوهو ماناه (بهمن) الفكر الخير؛ وهو الموكل بحماية الحيوانات النافعة والمواشي، والراعي الذي يحسن معاملة مواشيه ويطعمها جيداً إنما يتقرب إلى فوهو ماناه. وتعتبر النصوص أن ”الذي يكون طيباً مع الإنسان الصالح ... أو أنه يعتني بالماشية بكد واجتهاد، سيكون في الآخرة في مرعى الحق والعقل الخير“^(١١).

يليه سبنتا آرمتي (إسفندارمذ) أو التقوى المقدسة، وهي ربة الأرض، ومهمتها حماية التربة وتخصيبها. لذا، فإن حرث الأرض وزراعتها ليس مجرد عمل شاق، بل هو فعل تعبدي يُرضي الأرض ويجعلها سعيدة. وتؤكد نصوص الفينديداد أن الأرض تكون في أقصى درجات بهجتها حيث يزرع المؤمن أكثر ما يمكن من الحبوب والكأ والثمار^(١٢). فضلاً عن أميرتات (مرداد) الخلود، و هاورفاتات (خرداد)؛ أما أميرتات فهي الموكلة بحماية النباتات، والاهتمام بالبساتين والأشجار ويعد

(٨) أفيستا، هايتي ١: ١١.

(٩) أفيستا، هايتي ٢٩: ١.

(١٠) Mary Boyce, Zoroastrians..., p. 34.

(١١) أفيستا، هايتي ٣٣: ٣.

(١٢) أفيستا، فاركارذ ٣: ٢٢ - ٢٥.



ذلك الفعل مساهمة في تقوية هذا الكائن الإلهي^(١٣). فيما تُعد هاورفانات (خرداد) الصحة وهي حامية المياه، والاهتمام بالقنوت والري هو واجب ديني يمنع تلوث المياه الذي يعتبر عملاً اهرمينياً^(١٤). وهذا ما يُفرضي إلى فكرة جعلت من هذا الترابط بين الإلهي والمادي من كل المزارعين والرعاة كهنة في محاربهم الإنتاجية؛ فالفلحة هي نثر للقداسة.

لم يتوقف التصنيف الأفيستي عند حماية الموارد، بل امتد ليشمل الحرب الاقتصادية ضد المعوقات الطبيعية. فيتجلى في النص الأفيستي ثنائية (الحيوان النافع في مقابل الحيوان الضار). إذ قسمت الأفيستا الحيوانات إلى صنفين: الحيوانات الأهورية؛ وهي التي خلقها أهورامزدا لخدمة الإنسان، مثل الأبقار والأغنام والكلاب والخيول ... إلخ. وإن حماية هذه الحيوانات هي حماية لأساس الاقتصاد الرعوي. والصنف الآخر (الخرفستر) وهي الحيوانات المؤذية والضارة التي خلقها أهرمين لتخريب الزراعة وقتل الماشية، مثل الثعابين، العقارب، الجراد، والضفادع ... إلخ^(١٥).

ويُعد قتل الخرفستر عملاً مأجوراً دينياً واقتصادياً؛ فالجراد مثلاً يدمر المحاصيل، والضفادع تلوث المياه، والثعابين تهدد القطعان. لذا، كان الكهنة يحملون أداة تسمى Xrafstar-zan أو مطرقة الخرفستر لتطهير الأرض من هذه الآفات. إن هذا الفعل بأبعاده الدينية كان في جوهره إدارة مكافحة الآفات بلغة العصر الحديث، ولكن بدوافع عقدية صارمة تهدف لحماية الإنتاج الزراعي والحيواني^(١٦). وقد أورد هيرودوت تلك التفصيصة دون ذكر أداة القتل: "أما الكهنة الفرس فيقتلون أي كائن حي أو حيوان بأيديهم، ما عدا الكلاب والبشر، ... ولا يستثنون من ذلك حتى النمل والأفاعي والزواحف والطيور. وهذا طقس قديم، ولا بأس إن ظلوا يتبعونه أبداً"^(١٧).

الزراعة كفعل يرمز للنظام - آشا:

تُعد الأرض في الفكر الأفيستي، كائنًا حيًا يشعر بالألم والسرور. فالأرض التي تُترك دون زراعة (بائرة) توصف وفقاً لذلك المنظور؛ بأنها حزينة ومريضة، بينما الأرض التي تُزرع وتُسقى هي الأرض الضاحكة. فورد في الفينديداد الثواب الذي يوازي فلحة الأرض والعناية بها: "الذي يفلح

(13) K. E. Eduljee, Were Ancient Zoroastrians & Aryans Vegetarian?, p. 13

(14) عروج نيا پروانه؛ هوشنگي، ليال، متون ديني زرتشتي و محيط زيبست...، ص ٥٥٧

(15) Mahnaz Moazami, Evil Animals in the Zoroastrian Religion, History of Religions, vol. 44, no. 4, (Chicago, 2005), pp. 305 - 306

(16) Ibid, p. 305

(17) هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، (أبو ظبي، ٢٠٠١)، ص ٩٧.



الأرض يخدم الحقيقة، يُرقي بديانة مازداياسنا، ... وكأنه قرأ آلاف الصلوات“^(١٨). ويذهب النص بعيداً في التأكيد على القيمة الاقتصادية والدينية للطعام الناتج من العمل اليدوي، معتبراً أن ”الذي لا يأكل لا يستطيع أن يقوم بنشاط ممارسة الأعمال الصالحة، بممارسة الزراعة، ... ويفقد الحياة عندما لا يتوفر الطعام“^(١٩). لذا، اعتُبر الامتناع عن العمل الزراعي أو إهمال الأرض خطيئة كبرى تفتح الباب لقوى دروج (الزيف والفقر) للسيطرة على المجتمع. كما يتضح من النص أن الزرادشتية عارضت مذاهب النقشف التي سادت في بعض الفلسفات الغربية.

ونظراً لطبيعة الموضوع الاقتصادية؛ مثلت الماشية في هذا المجتمع الذي صورته الأفيستا، العملة الدينية والاقتصادية معاً. فالبركة الإلهية لا تحل إلا في البيوت التي تضج بأصوات القطعان. واستخدمت المواشي في العقود والتشريعات كدية وكأجر للخدمات؛ فكان الطبيب يُؤجر ببقرة أو جمل حسب مكانة المريض، والكاهن يُؤجر بنصيبه من الذبائح المقدسة. وقد جعل هذا الربط من الغنى الحيواني علامة على الرضا الإلهي، وجعل من الفردوس مكاناً مليئاً بالمراعي الخضراء والمياه الوفيرة^(٢٠). وقد أشار هيرودوت إلى قدسية المياه لدى الفرس قائلاً: ”والفرس يجلون الأنهار أشد الإجلال، فلا تجدهم يلوثون نهراً بالتبول أو البصاق فيه، بل ولا يغسلون أيديهم بمياهه أو يسمحون لأحد بذلك.“^(٢١).

خلاصة القول: إن البعد الديني للاقتصاد في الأفيستا جعل من الاستدامة واجباً عقائدياً؛ فحماية المياه من التلوث، والتربة من الإنهاك، والماشية من العنف، لم تكن مجرد نصائح اقتصادية، بل كانت شرائع مقدسة تضمن للإنسان مكاناً في العالم الآخر بقدر ما قدمه من عمارة في هذا العالم.

ثانياً: مظاهر النشاط الزراعي والاستقرار وتحول المجتمع الإيراني القديم

يمثل التحول من الرعوية المتنقلة إلى الزراعة المستقرة في نصوص أفيستا نقطة تحول جوهريّة في الهوية الاقتصادية والاجتماعية لإيران القديمة. فلم تعد الأرض مجرد مسرح للرعي، بل أصبحت شريكاً في عملية الخلق الإلهي، واعتُبر المزارع المستقر هو النموذج الأمثل للأشون - أتباع الحق، في مقابل الدروج أتباع الزيف الذين ارتبطوا تاريخياً بالقبائل الرعوية الغازية التي تعتمد في اقتصادياتها على النهب بدلاً من الزراعة.

(18) أفيستا، فاركارد ٣: ٣١.

(19) أفيستا، فاركارد ٣: ٣٣.

(20) Mary Boyce, Zoroastrians..., p. 12

(21) هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ص ٩٧.



ونجد أن الفلاحة لا تتفصل في الفكر الأفيستي عن العبادة؛ إذ يعتبر الفيندياد (الناموس ضد الشياطين) أن العمل في الأرض هو الوسيلة الأنجع لمحاربة قوى الشر. ورد في نص صريح "عندما تُزرع الحبوب يُصيب الأبالسة الضنى، عندما تُجهز وتُذرى الحبوب يضعف الأبالسة ... فليكن طعام الطحين موجوداً دوماً ليجبر الأبالسة على الفرار ..."(٢٢).

يرفع هذا المنظور الديني من القيمة الاقتصادية للعمل اليدوي، فالمزارع الذي يحرق الأرض بقوة ذراعيه هو في الحقيقة يُطعم إيمان المجتمع، والأرض التي كانت بائرة وتتحول إلى خضراء هي أرض استردها أهوارمزا من قبضة أهريمن. ويصف الأفيسا الأرض السعيدة بأنها تلك التي يُزرع فيها أكبر قدر من الغلال والثمار، بينما توصف الأرض التي لا تُزرع بأنها "... حزينة ... عندما تبقى غير محروثة لفترة طويلة حيث يجب حراستها من قبل الفلاح، الذي ينتظر بفارغ الصبر محصولاً جيداً منها. مثل المرأة الجميلة التي عاشت فترة طويلة بدون ذرية، وبهم شديد تنتظر الوليد من زوجها الصالح"(٢٣).

وبالانتقال إلى طبقة المزارعين (واستريوشان) ومكانتها الاجتماعية؛ نجد أن المجتمع الإيراني القديم وفق الأفيسا والكتب البهلوية المفسرة (مثل الدينكرد وشكند غمانيك وبيجار) قد انقسم إلى طبقات رئيسية، كانت طبقة المزارعين المستقرين وستريا فاهويانت Vastrya-Fahuyant أو واستريوشان هي العماد الاقتصادي لها. في نص شكند غمانيك وبيجار، يتم تشبيه طبقات المجتمع بأعضاء جسم الإنسان، حيث يُمثل المزارعون المعدة التي تمد سائر الأعضاء بالطاقة، وبدونها ينهار الجسم الاجتماعي(٢٤). ويحمل المزارع الأفيستي لقب فشويانت fšuyant، وهي كلمة تعني المزدهر أو المثمر، ويرتبط هذا اللقب بصفة الأشون؛ أي أن الصالح دينياً وهو بالضرورة المزارع المنتج. وتؤكد النصوص أن الأرض لا تمنح بركتها إلا لـ "الذي يحرقها باليد اليمنى واليسرى ... ستقول له الأرض سأغرق البلد بالخيرات وسأجلب لك محصولاً وفيراً متخماً"(٢٥)، في إشارة إلى العمل الدؤوب والمستمر(٢٦). كما أن المزارعين، رغم كونهم طبقة أدنى من الكهنة والمحاربين في الهرم

(٢٢) أفيسا، فاركارد ٣: ٣٢.

(٢٣) أفيسا، فاركارد ٣: ٢٤.

(٢٤) كريم جمالي، طبقات اجتماعي در متون ديني و غير ديني ايران باستان، مجله پژوهش های تاريخی ايران و اسلام، العدد ٢٢، بهار و تابستان ١٣٩٧، (زاهدان: جامعة سيستان و بلوچستان، ١٣٩٧)، ص ١٥٧.

(٢٥) أفيسا، فاركارد ٣: ٢٦ - ٢٧.

(٢٦) Farrokh Vajifdar, Zoroastrianism and the Environment, World Religions in Education, (London, 2008), p. 470



الطبيقي، إلا أنهم كانوا أصحاب المراتب البارزة في العالم الآخر لأنهم وفروا سبل الحياة للبشر والماشية^(٢٧).

وبالانتقال إلى تقنيات الري وابتكار القنوات، ونظرًا للمناخ الجاف للهضبة الإيرانية، أولى النص الأفيستي أهمية قصوى للمياه، واعتُبر حفر القنوات الأرضية واجبًا دينيًا لمواجهة ديو الجذب - أبوشا. وتشير الدراسات الحديثة المعتمدة على غبار الطلع في بحيرات مثل مهارلو وألمالو إلى أن إيران شهدت ثورة زراعية كبرى خلال العصور الأفيستية المتأخرة - العصر الأخميني، تمثلت في بناء السدود والأنفاق المائية ونظام الكاريز - الري^(٢٨). الذي لم يكن مجرد إنجاز هندسي، بل كان تطبيقًا للتشريعات الأفيستية التي تمنع تلوث المياه بالخبث أو الميته. فالقنوات التحت أرضية تضمن وصول المياه نقيّة وباردة إلى الحقول دون تبخر أو تلوث، وهو ما يتوافق مع نص الفينديداد الذي يفرض عقوبات صارمة على من يلوث مجرى مائيًا^(٢٩).

ولم يقتصر الاقتصاد الزراعي في الأفيستا على الحبوب (القمح والشعير)، بل امتد ليشمل زراعة الأشجار المثمرة كفعل من أفعال الخلود، حيث تقع حماية النباتات تحت رعاية الأمشاسبند أميرتات (الموت- لا / الخلود). وتُثبت الاكتشافات الأثرية النباتية أن الجوز والدلب والعنب كانت من المحاصيل الأساسية التي توسعت زراعتها في الهضبة الإيرانية منذ الألفية الثانية قبل الميلاد^(٣٠). كما إن إنشاء البساتين المسورة، التي عُرفت باسم بارادايزا Pairi-daeza، كان تجسيدًا أرضيًا للفردوس السماوي. فالفلاح الأفيستي كان يسعى لتحويل محيطه إلى بستان مثمر، واعتُبر غرس شجرة مثمرة عملاً يُكفر عن الخطايا؛ لأن الشجرة تقدم الغذاء والظل وتطهر الهواء، وهي عناصر أهوراية بامتياز^(٣١).

كما تضمنت الأفيستا تشريعات اقتصادية دقيقة حول ملكية الأرض وكيفية استغلالها. فالأرض التي تظل بائنة دون زراعة لفترة طويلة تُعتبر أرضًا مريضة تسكنها الشياطين. وقد ورد في المينوي خرد -

(٢٧) محمد حسن رزاييمو، زاده عيرب يعل، بررسی ساختار های اقتصادی ارداویرافنامه، ص ٦١

(28) M. Djamali et al, Notes on Arboricultural and Agricultural Practices in Ancient Iran based on New Pollen Evidence, Paléorient, vol. 36.2, 2010, (Paris, 2011), p. 176

(29) Richard Foltz and Manya Saadi-nejad, Is Zoroastrianism an Ecological Religion?, Journal for the Study of Religion, Nature and Culture 1.4, (2007), p. 422

(30) M. Djamali et al, Notes on Arboricultural and Agricultural Practices in Ancient Iran..., p. 184

(31) Mahnaz Moazami, Evil Animals in the Zoroastrian Religion, p. 306



روح العقل أن من واجبات المزارع ليس فقط الزراعة، بل شفاء الأرض من الأملاح والآفات^(٣٢). كما تمنع الشرائع الصارمة دفن جثث الموتى في التربة الزراعية، ويجب تطهير الأرض التي وُجد فيها ميت قبل إعادة زراعتها بفترة تصل إلى عام كامل لتعريضها لأشعة الشمس المُطهرة^(٣٣). هكذا، نجد إن هذه التشريعات تضمن الاستدامة الزراعية؛ فالمزارع لا يملك الأرض ملكية مطلقة تتيح له تدميرها، بل هو مستخلف عليها من قبل سبنتا آرميتي - ربة الأرض، ومُلزم بالحفاظ على خصوبتها للأجيال القادمة.

كما تذكر النصوص الأفيستية والبهلوية الحبوب كغذاء أساسي بجانب الألبان. واعتُبر الشعير والقمح هما المحصولان الأقدس، ويُشار إلى أن المجتمع الإيراني القديم كان يعتمد في الشتاء على الأغذية النباتية المجففة (الحبوب، البقوليات، الفواكه الجافة، والمكسرات كالجوز) لضمان الاستقرار الغذائي^(٣٤). كما أن الاحتفالات الموسمية مثل الكاهنبارات Gahanbars، وخاصة مهرجان بايتشاهيا Paitishahya، كانت مخصصة للاحتفال بحصاد الغلال، مما يعكس الارتباط الوثيق بين الدورة الزراعية والتقويم الديني^(٣٥).

الصراع الاقتصادي بين المزارع والبدو الغزاة

يصور الأفيستا (خاصة في الغاثا) صراعاً مبرحاً بين المزارعين المستقرين Vastrya والبدو الرحل الذين يصفهم بعبدة الديو يشكي المزارع في يسنا هايتي ٢٩ من الغارات التي تدمر القنوات وتسرق الماشية وتفسد الزرع. هذا الصراع لم يكن عقدياً فحسب، بل كان صراعاً بين نظامين اقتصاديين: اقتصاد الإنتاج والاستقرار (الزراعة) واقتصاد النهب والتنقل (البدو العدوانية) يقول زرادشت مخاطباً أهوارامزدا: "عسى أن يحكمنا الصالحون لا الأشرار، ... يا سبنتا-آرميتي! جهزي للإنسان الخير لميلاده القادم، والبقرة للراعي، عسى أن تسمن بعلفنا ... ولأجل الماشية جعل أهوارامزدا النباتات تنمو عند بداية الوجود الأول، من خلال الحق"^(٣٦). يتضح من ذلك إن استقرار المجتمع في قرى وأقاليم منظمة كان هو الهدف النهائي للرسالة الزرادشتية، وهو ما مهد الطريق لبناء الإمبراطوريات الكبرى التي اعتمدت على خراج الأرض المنظم كبديل عن اقتصاد الغنيمة.

^(٣٢) تفضلي احمد، مينوى خرد، ترجمة وتحقيق احمد تفضلي، (تهران: انتشارات بنياد فرهنگ ايران، ١٣٦٤)، ص ٤٩

^(٣٣) عروج نيا پروانه؛ هوشنگي، ليال، متون ديني زرتشتي و محيط زيست...، ص ٥٥٣

^(٣٤) K. E. Eduljee, Were Ancient Zoroastrians & Aryans Vegetarian?, p. 7

^(٣٥) Mary Boyce, Zoroastrians..., p. 33

^(٣٦) أفيستا، هايتي ٤٨: ٥ - ٦.



ثالثاً: الاقتصاد الرعوي وثقافة الماشية في المجتمع الأفبستي

يُعد الاقتصاد الرعوي الركيزة الأساسية التي قامت عليها حضارة الهضبة الإيرانية في عصورها القديمة، كما تجسده نصوص أفبستا؛ ففي مجتمع (الغائث) وما بعدها، لم تكن الماشية مجرد وسيلة لسد الرمق، بل كانت جوهر الوجود المادي والروحي للإنسان الإيراني. وتتجاوز ثقافة الماشية في الأفبستا المفهوم النفعي البسيط لتصل إلى مرتبة القداسة، حيث يتداخل الراعي مع الكاهن، وتصبح المراعي هي المسرح الحقيقي للصراع بين الحق (أشا) والباطل (دروج)^(٣٧).

وتقف البقرة والماشية عموماً في مركز هذا الاقتصاد الرعوي، ولم يكن ينظر إليها كحيوان مستأنس فحسب، بل ككائن ذي روح تشكي وتتألم وتطالب بالعدالة. تُصور نصوص أفبستا صرخة روح الماشية إلى الخالق أهورامزدا، وهي تشكي من الغزو والنهب والعنف الذي يمارسه البدو الرحل الغزاة. تقول الماشية في النص المقدس: "تصلي لكم روح الثور: من الذي خلقي؟ ولأجل ماذا؟ يرهقني أيشما الشرير [شيطان الغضب]، يقهرني الحقد والعنف. ليس لي سواك راعٍ فاجعل لي طيب المراعي"^(٣٨). وهذا النص ليس مجرد استعارة دينية، بل هو وثيقة اقتصادية تعكس صرخة المجتمع المستقر (المزارعين والرعاة المنظمين) في وجه اقتصاد الغزو الذي كان يهدد قطعانهم ومراعيهم. فالماشية في هذا السياق هي الأصل الذي نشأت منه كل الحيوانات النافعة^(٣٩). ووفقاً للأساطير الأفبستية، فإن موت الثور الأول أدى إلى ظهور ٥٥ نوعاً من الحبوب و١٢ نوعاً من النباتات الطبية، مما يجعل الماشية هي المصدر الكوني للثروة النباتية والحيوانية على حد سواء^(٤٠).

ويبرز في إزاء ذلك مفهوم الحيوانات النافعة ويُستخدم في اللغة البهلوية المفسرة للأفبستا، مصطلح غوسفند Gospand ليشمل جميع الحيوانات النافعة والمدجنة. ويُرجع إن أصل هذه الكلمة إلى المصطلح الأفبستي Gao-Spenta؛ حيث تعني Gao بقرة، وSpenta مقدس أو نافع. وبذلك، فإن المصطلح لا يقتصر على الأغنام كما في الفارسية الحديثة، بل يشمل: الأبقار، الأغنام، الماعز، الخيول، والجمال، وحتى الطيور الداجنة^(٤١). وكانت تُعرف هذه المجموعة من الحيوانات

(37) Randall E. Otto, Zoroaster and the Animals, Journal of Animal Ethics, Vol. 11, No. 2, (University of Illinois Press, 2021), p. 75

(38) أفبستا، هايتي ٢٩: ١.

(39) Richard Foltz and Manya Saadi-nejad, Is Zoroastrianism an Ecological Religion?, p. 370

(40) Mahnaz Moazami, Evil Animals in the Zoroastrian Religion, p. 306

(41) K. E. Eduljee, Were Ancient Zoroastrians & Aryans Vegetarian?, p. 27



بخلق أهورامزدا، وتُعد حمايتها وتكثيرها واجباً دينياً. واعتُبر الرعي فعلاً مرتبطاً بالفكر الخير (فوهو ماناه)، حيث يوضع الماشية تحت رعايته المباشرة. وتؤكد النصوص أن المؤمن الحق هو الذي "ستمح ذاك الجزء القيم يا مازدا ... لأولئك الذين يعيشون في القرية ويهتمون بالبقرة الحامل. ... تزدهر القرية من خلال الحق" (٤٢). في المقابل، وُصف الأشرار بأنهم أولئك الذين يعطون الماشية للعنف ولا يهتمون بجعل المراعي تزدهر، "هؤلاء الذين يزدون من العنف والقسوة بألسنتهم، هم أعداء لمربي الماشية وهم بين ظهرائهم، ... هؤلاء سيكونون في مساكن الأبالسة، [مقام] نفس الشرير الكاذب" (٤٣).

وتمتد القدسية التي حظيت بها الحيوانات النافعة إلى منتجاتها كالألبان لينظر إليها كغذاء مقدس؛ فاحتل اللبن ومشتقاته مكانة مركزية في النظام الغذائي والاقتصادي الإيراني القديم. كان اللبن يُسمى Pema، واعتُبر أفضل أنواع الألبان هو لبن الربيع المستخلص من المواشي التي تغذت على أعشاب الربيع الغضة. وتذكر نصوص دادستان إي دينيغ (٤٤) أن لبن الغنم (المواشي) هو أفضل غذاء خلقته الآلهة، لأنه المصدر الأول لنشوء الإنسان والحيوان. وورد في النص: "... أرغب في أن أصل بهديتي إلى مياه هاوما وإلى الحليب الطازج ... من أجل استرضاء المياه التي خلقها مازدا" (٤٥).

أما المنتج الأكثر قيمة اقتصادية ودينية فهو الروغن Raoghna/Roghan أو السمن المصفى. ويُسمى في الأفيسا و arem Raoghna (سمن الربيع)، ويُعتقد أنه هو الغذاء الذي يُقدم لأرواح الأبرار في الفردوس. ووفقاً لنص هادخت نسك الأفيستي، فإن طعام الأبرار هو سمن الربيع المصفى (٤٦). ومن الناحية الاقتصادية، كان السمن المصفى يُستخدم كعملة للتبادل؛ حيث تذكر الوثائق التاريخية أن الفلاحين كانوا يدفعون خراج أراضيهم وجزءاً من التزاماتهم للملاك أو للمعابد في صورة روغن، نظراً لقدرته على البقاء لفترات طويلة دون فساد (٤٧).

(٤٢) أفيسا، هايتي ٣٤: ١٤.

(٤٣) أفيسا، هايتي ٤٩: ٤.

(٤٤) كُتبت هذه النصوص في القرن التاسع الميلادي على يد منوچهر، الذي كان يشغل منصب هودينان بيشوباي أو زعيم طائفة المازدايايسيين في بلاد فارس وكرمان. وتتألف من (٩٢) سؤالاً وجواباً تعالج قضايا متنوعة تبدأ من الطهارة والطقوس إلى المسائل الاقتصادية والاجتماعية. يُنظر:

A. V. Williams Jackson, Zoroastrian Studies..., p. 11

(٤٥) أفيسا، هايتي ٣: ٣.

(٤٦) K. E. Eduljee, Were Ancient Zoroastrians & Aryans Vegetarian?, p. 4

(٤٧) Ann Lambton, Landlord and Peasant in Persia, (New York, 1991), p. 333



هذا، ولم تقتصر القدسية على الحيوانات ذات الإنتاج الاقتصادي بالضرورة، بل شملت الكلب - الشريك الاقتصادي والشرعي للراعي. إذ لا يمكن تصور اقتصاد رعي أفیستی دون الوجود المحوري للكلب. فقد خُصص في نص الفیندیداد فارکارد (١٣ و ١٤) لتبيان مكانة هذا الحيوان، الذي حظي بمكانة قانونية لا تضاهيها مكانة أي حيوان آخر، حتى أنه احتل المرتبة الثانية في القداسة بعد الإنسان^(٤٨). لدرجة اعتبرته النصوص "... مخلوق الروح القدس، الذي يخرج لقتل آلاف مخلوقات روح الشر من منتصف الليل وحتى شروق الشمس"^(٤٩). وتركزت النظرة الزرادشتية إلى أن العالم ما كان ليقوم لولا وجود الكلب الذي يحرس الماشية والبيوت^(٥٠). وقسمت الأفیستا الكلاب اقتصاديًا إلى أنواع: مثل سگ گله Pasush-haurva كلب حماية القطيع، وهو الذي يدافع عن المواشي ضد الذئاب والغزاة. وسگ خانمان Vish-haurva كلب حراسة القرى والبيوت. وسگ شکاری الكلب الذي يساهم في توفير الغذاء من خلال الصيد^(٥١). وفرضت التشريعات الأفیستية عقوبات صارمة جدًا على من يسيء معاملة الكلب؛ فمن يقتل كلب الرعي يُعاقب بـ ٨٠٠ جلدة، وهي عقوبة تماثل عقوبة قتل الإنسان^(٥٢). كما أوجبت الشرائع تقديم أفضل أنواع الطعام للكلب، واعتبرت أن "من يطعم الكلب، إنما يطعم الخير نفسه"^(٥٣). ونستنتج من هذا الاهتمام بالكلب كان ضرورة اقتصادية لحماية الثروة الحيوانية التي هي عصب الحياة.

وسائل النقل - الخيل والجمال:

رغم أن البقرة كانت روح الاقتصاد، إلا أن الخيول Aspa والجمال Ustra كانت تمثل عضلات هذا الاقتصاد وقوته الحركية. وتذكر نصوص الأفیستا الخيل بكثرة، وتربط بينها وبين الآلهة؛ فالله الشمس (ميثرا) يركب عربة تجرها خيول بيضاء، والهة المياه (أناهيتا) تملك أربعة خيول تمثل المطر والرياح والسحاب والمطر المتجمد^(٥٤). من الناحية الاقتصادية، استُخدمت الخيول في العربات الحربية وفي المسابقات التي كان يُمنح فيها الفائز جوائز من الماشية. ويُطلب زرادشت في صلواته "عشر أفراس

(٤٨) أفیستا، مقدمة فارکارد ١٣، ص ٣٣٦.

(٤٩) أفیستا، فارکارد ١٣: ١.

(٥٠) Mary Boyce, Zoroastrians..., p. 139

(٥١) سارا ميرزایی؛ نسرين رضایی، قوه جادویی حیوانات در متون پهلوی، مجله پژوهش های تاریخی ایران و اسلام، العدد ٢٢، بهار و تابستان ١٣٩٧، (زاهدان: جامعة سيستان وبلوشستان، ١٣٩٧)، ص ٦٩

(٥٢) Richard Foltz and Manya Saadi-nejad, Is Zoroastrianism an Ecological Religion?, p. 373

(٥٣) عروج نیا پروانه؛ هوشنگی، لیال، متون دینی زرتشتی و محیط زیست...، ص ٥٥٧

(٥٤) سيد مهدي موسوي وشاهين آريا منش، اسبان ورجاوند؛ تطوّر ارجمندي اسب نزد هندي-ایرانيان، تحقیقات تاريخ اجتماعي، سال نهم، شماره اول، ١٣٩٨، ص ٣٠١



مع حصان وجمل^(٥٥)، كأجر على خدمته للدين، مما يدل على أن هذه الحيوانات كانت تُستخدم كمقاييس للثروة والأجر^(٥٦). أما الجمل Ustra، فقد كان رمزاً للصمود في المناطق الجافة، ويظهر أثره في اسم زرادشت نفسه Zara-ustra الذي يعني صاحب الإبل الصفراء أو الإبل الهرمة حسب بعض التفسيرات اللغوية^(٥٧). وتذكر النصوص أن الجمال كانت تُستخدم في حث الأرض في المناطق التي تندر فيها الخيول، وهي ممارسة رآها الباحث جاكسون لاحقاً في منطقة بلوشستان^(٥٨). اقتصادياً، كانت الماشية في انعدام العملة النقدية في العصور الأفيسية المبكرة، هي العملة الحقيقية. وتضمنت الشرائع الأفيسية لا سيما في الفيندياد تحديد أجور الخدمات بالماشية؛ فأجر الطبيب الذي يعالج رب أسرة ثور صغير. أما أجر الطبيب الذي يعالج حاكم إقليم عربية تجرها أربعة خيول. فيما أجر الكاهن مقابل طقوس التطهير يتمثل في نصيبه من اللحوم والألبان^(٥٩). كما استُخدمت الجلود كعنصر اقتصادي هام في صناعة السيور، والأحذية، والقرب المائية، وحتى في الكتابة؛ حيث تذكر نصوص أرداويرافنامه Arda Viraf Namag أن النسخة الأصلية للأفيستا كانت مكتوبة بماء الذهب على اثني عشر ألف جلد بقرة^(٦٠).

ويُبنى الاقتصاد الرعوي في الأفيسا على مفهوم آشا (النظام والحق)؛ لذا فإن الرعي ليس مجرد تربية حيوان، بل هو إدارة أخلاقية للموارد. وكان الرعاة الزرادشتيون يفتخرون بأنهم واستريا Vastria أي رعاة مستقرون، في مقابل قبائل الديو الذين كانوا يمارسون النهب. وتؤكد النصوص أن الأرض لا تمنح بركتها إلا للراعي الذي يُطعم الماشية بالحبوب والنباتات، ولا يسرقها من الآخرين^(٦١). ”... أمتنع عن سرقة ونهب الماشية وعن إيذاء وسلب القرى المازدايسانية“^(٦٢). وكان إهدار دم الماشية في طقوس دموية صاخبة (كما كان يُفعل في الطقوس الوثنية) يعتبر جريمة اقتصادية ودينية كبرى، حيث لعن زرادشت أولئك الذين يقتلون الماشية بفرج صاخب^(٦٣)، ”... فقد تنبأ مازدا بالشر

(٥٥) أفيسا، هابتي ٤٤: ١٨.

(٥٦) Randall E. Otto, Zoroaster and the Animals, Journal of Animal Ethics, p. 75

(٥٧) أفيسا، مقدمة العلم الأفيسية، ص ٢٢.

(٥٨) A. V. Williams Jackson, Zoroastrian Studies..., p. 248

(٥٩) غلامرضا نوادري، قرباني در آيين زرتشت، (تبريز: انتشارات عاصم، ١٣٩٨)، ص ٣٠

(٦٠) مجتبی مینوی، نامه تنسر به گشنسب، تصحيح مجتبی مینوی، (طهران: انتشارات خوارزمي، ١٣٥٤)؛ كذلك:

غلامرضا نوادري، قرباني در آيين زرتشت، ص ٢٠٠

(٦١) K. E. Eduljee, Were Ancient Zoroastrians & Aryans Vegetarian?, p. 33

(٦٢) أفيسا، هابتي ١٢: ٢.

(٦٣) Randall E. Otto, Zoroaster and the Animals, Journal of Animal Ethics, p. 76



ضد أولئك الذين يدمرون حياة الثور بصيحات الفرح، والذين بفضلمهم فضّل كراهما وقبيلته الشر والكذب على الحق^(٦٤).

وبالانتقال إلى مواسم احتفالات الماشية – الكاهنبارات، نجد أن التقويم الاقتصادي الرعوي قد ارتبط بالكاهنبارات الستة، وهي أعياد موسمية تُنظم النشاط الإنتاجي. ومن أمثلتها: ميديوزرم Maidyo-zarem عيد منتصف الربيع، وهو وقت استخلاص السمن المصفى الروغن. وعيد أياثرم Ayathrem وقت عودة القطعان من المراعي الصيفية الجبلية إلى السهول، وهو موسم التزاوج وتكاثر الماشية. وكان يُوزع في هذه الأعياد اللحم واللبن والسمن كصدقات^(٦٥). مما يضمن توزيع الثروة الحيوانية على الفقراء، ويحول الاقتصاد الرعوي إلى شبكة من التكافل الاجتماعي تحت مظلة الدين.

رابعاً: التشريعات الاقتصادية وحماية البيئة في الفكر الأفهستي

تُعد التشريعات البيئية الواردة في كتاب أفهستا، ولا سيما في نص الفينديداد هي الناموس ضد الشياطين، وهي من أكثر التشريعات شمولاً ودقة في العالم القديم. ولم يكن الاقتصاد الإيراني القديم مجرد ممارسات إنتاجية، بل كان محكوماً بنظام تشريعي صارم يربط بين القداسة الدينية والاستدامة البيئية. فاستندت هذه التشريعات إلى مبدأ أشا Asha، وهو النظام الكوني الذي يوجب على الإنسان الحفاظ على نقاء العناصر الأربعة (التربة، الماء، الهواء، والنار) وحماية الكائنات النافعة، واعتبر أي إخلال بهذا التوازن يُمثل جريمة اقتصادية تستوجب العقاب الدنيوي والكفارة الدينية^(٦٦).

تُعد الأرض وفق المنظور الأفهستي، (الأمشاسبند سبنتا آرميتي) كائناً حياً مقدساً، ولذلك وضعت الأفهستا شرائع صارمة لمنع تنجيسها أو تعطيل إنتاجيتها. فنصّت على تجريم تنجيس التربة (شرائع النسو) حيث يُحظر بشكل قطعي دفن الجثث (الميتة) في الأرض الزراعية – كما مرّ بنا، لأن الميتة تمثل قمة التلوث الأهرمني. وتفرض التشريعات عقوبات قاسية على من يدفن جثة إنسان أو كلب في الأرض، وتصل العقوبة إلى الجلد أو دفع غرامات عينية باهظة في صورة رؤوس ماشية. ويؤكد نص الفينديداد أن الأرض تكون في حالة ألم وشقاء حيثما تُدفن الجثث، بينما تكون في أوج سعادتها ”الأرض الأكثر طيبة ... حيث يزرع الصالح الحبوب ويتخذ أفضل التدابير لأجل الزراعة والمراعي

(٦٤) أفهستا، هابتي ٣٢: ١٢.

(٦٥) Farrokh Vajifdar, Zoroastrianism and the Environment, p. 471

(٦٦) Mahnaz Moazami, Evil Animals in the Zoroastrian Religion, pp. 306 - 307



والنباتات ... حيث يسقون الأماكن الجافة، ويجففون الأماكن الفائضة بالمياه^(٦٧). وهناك أيضًا شرائع الأرض البائرة التي اعتبرت إهمال الأرض وعدم زراعتها خطيئة اقتصادية. فالأرض التي تظل بائرة توصف بأنها حزينة، والعمل على استصلاحها هو تطهير لها من الشياطين. ويُعتبر الفلاح الذي يشفي الأرض من الملوحة ويوفر لها الري هو من أتباع الحق^(٦٨).

أما تشريعات حماية الموارد المائية ونظام الكاريز - الري، ونظرًا لكون الماء في الهضبة الإيرانية يُمثل عصب الاقتصاد الرعوي والزراعي، خضع لتشريعات حماية بيئية لم تسبقها حضارة أخرى في صرامتها. منها حظر تلوث المياه الأفيستي الذي يحظر إلقاء أي مواد ملوثة في المجاري المائية، سواء كانت ميتة أو فضلات. وورد في الفاركارد السادس من الفينديداد تفصيلات دقيقة حول كيفية التعامل مع جثة وُجدت في مجرى مائي؛ حيث يجب وقف استخدام الماء وتجفيف المجرى وتطهيره لفترة معينة قبل إعادة استخدامه في الري أو الشرب^(٦٩). فضلًا عن تشريعات حماية القنوات؛ إذ اعتُبر حفر القنوات الأرضية واجبًا تشريعيًا لمواجهة الجفاف الذي يسببه أبوشا (ديو القحط). وتؤكد الدراسات التاريخية أن الشرائع كانت تمنح امتيازات ضريبية للمزارعين الذين يحفرون قنوات جديدة لزيادة الرقعة الزراعية، واعتُبر سد مجرى مائي أو تخريبه عملاً تخريبياً يستوجب عقوبة مرغرزان (الخطيئة المميتة)^(٧٠).

أما الشرائع الاقتصادية لحماية الثروة الحيوانية وخاصة الأبقار والكلاب، احتلت مكانة فريدة في الأفیستا، حيث وُضعت تشريعات لحقوق الحيوان تضمن استدامة الاقتصاد الرعوي. تبرز في مقدمتها تشريعات حماية الكلاب في الفصلين ١٣ و ١٤ من الفينديداد، نجد تشريعات مذهلة تحمي الكلب باعتباره حارس القطعان. تُحدد الشرائع عقوبة من يقتل كلب رعي بـ "ثمانمائة جلدة بسوط الخيل تجعله مطيعاً"^(٧١). كما أوجبت الشرائع على صاحب القطيع إطعام الكلب أفضل أنواع الطعام (اللحم واللبن) واعتبرت أن تجويع الكلب جريمة تعادل تجويع الإنسان الحر. كما شرعت الأفیستا حماية الماشية؛ فحرمت الأفیستا الذبح غير المبرر للمواشي، وخاصة الإناث منها في سن الإنجاب. ويشير زرادشت في الغاثة باللعة على الكارابانيين (الكهنة التقليديين) الذين "يُدمرون حياة الثور

(٦٧) أفیستا، فاركارد ٣: ٤.

(٦٨) تفضلي احمد، مینوی خرد، ص ٤٩

(٦٩) Richard Foltz and Manya Saadi-nejad, Is Zoroastrianism an Ecological Religion?, p. 422

(٧٠) كريم جمالي، طبقات اجتماعي در متون ديني و غير ديني ايران باستان، ص ١٥٦

(٧١) أفیستا، فاركارد ١٣: ١٢



بصيحات الفرح^(٧٢). وفي مقابل تلك التشريعات شرعت الأفيستا المسؤولية عن الحيوان؛ فإذا تسبب حيوان (مثل الجمل أو الثور) في ضرر لإنسان، فإن الشرائع الأفيستية تُحمل صاحب الحيوان المسؤولية إذا ثبت إهماله في الرعاية، واعتُبرت ذنوب الحيوان في العالم الآخر معلقة في رقبة من أساء تربيته أو استخدامه^(٧٣).

ومن اللافت للنظر أن الأفيستا أقرت نظام العقوبة بالأعمال الصالحة - ذات البُعد الاقتصادي - فكان نظام العقوبات في الأفيستا إنتاجياً في جوهره، حيث لم تكتفِ الشرائع بالجلد مثلاً، بل أوجبت أعمالاً بيئية لتكفير الخطايا^(٧٤). فمن يرتكب خطيئة دينية أو اقتصادية (مثل تلويث المياه أو ممارسة الجنس غير المشروع)، كان يُلزم بتنفيذ مجموعة من الأعمال الصالحة للبيئة ككفارة عن خطايه، كحفر قناة ري للمزارعين، أو بناء جسر فوق مجرى مائي، أو إبادة عدد هائل من الخرفستر (الحيوانات الضارة كالجراد والأفاعي) لحماية المحاصيل والقطعان. وقد تصل إلى تزويج شاب وشابة من طبقة وستريا (المزارعين) وتزويدهما بالأدوات الزراعية والماشية لبدء حياة إنتاجية جديدة^(٧٥).

طبقة واستريوشان (الفلاحين) والحقوق المدنية

قسمت الأفيستا المجتمع إلى طبقات - كما مرّ بنا، وتمتعت طبقة المزارعين وستريا فاهويانت Vastrya-Fahuyant بحماية تشريعية خاصة لضمان استقرار الأمن الغذائي. إذ نظمت التشريعات الواردة في الفينديداد عقد العمل الزراعي، أي العلاقة بين صاحب الأرض والعامل - المزارع، وأكدت على ضرورة دفع الأجور (التي كانت تُدفع غالباً في صورة عينية حبوب أو سمن) بانتظام. واعتُبر الامتناع عن دفع أجر الفلاح خطيئة دروج^(٧٦). فضلاً عن العدالة الضريبية (الخراج) فتشير الكتب البهلوية المفسرة للأفيستا (مثل رسالة تنسر) إلى أن نظام الضرائب كان يُبنى على القدرة الإنتاجية للأرض؛ فالأرض التي تضررت من الجفاف أو الآفات تُعفى من الخراج، وهو تطبيق لمبدأ الفكر الخير في الإدارة الاقتصادية^(٧٧).

كما تضمنت التشريعات الأفستية حرباً دائمة ضد الحيوانات التي تهدد الاقتصاد الزراعي والرعوي، وهي الخرفستر Khrafstar، فأوجبت الشرائع على كل مؤمن قتل الأفاعي، العقارب، الجراد،

^(٧٢) أفيستا، هايتي ٣٢: ١٢.

^(٧٣) غلامرضا نوادري، قرباني در آيين زرتشت، ص ٥٧

^(٧٤) عروج نيا پروانه؛ هوشنگي، ليال، متون ديني زرتشتي و محيط زيست...، ص ٥٣١

^(٧٥) غلامرضا نوادري، قرباني در آيين زرتشت، ص ١١٢-١١٣

^(٧٦) Mary Boyce, Zoroastrians..., p. 34

^(٧٧) مجتبی مینوي، نامه تنسر به گشنسب، ص ٥٦-٥٨



والضفادع. ولم يكن هذا التشريع بدافع الكراهية الطبيعية، بل لحماية مخازن الغلال من الجراد، وحماية المراعي من الأفاعي، والحفاظ على نقاء المياه من الضفادع. واعتُبر الكاهن خرفسترزان Xrafstar-zan أي ضارب الآفات هو الضامن للأمن الحيوي للمجتمع^(٧٨). وتعتقد التشريعات الأفيسية أن موت كل خرفستر يزيد من بركة الأرض والماء، مما يؤدي مباشرة إلى زيادة المحصول ووفرة الألبان، وهو ربط مباشر بين التطهير البيئي والازدهار الاقتصادي^(٧٩). ونلاحظ إن التشريعات الاقتصادية والبيئية في الأفيسا قدمت نموذجًا مبكرًا للأخلاق البيئية؛ حيث لا يمكن فصل الربح المادي عن النقاء الروحي. فالفلاح أو الراعي الذي يلتزم بشرائع الطهارة والرفق بالحيوان لا يُسهم فقط في عمارة مملكته الأرضية، بل يضمن مكانه في فردوس أهورامزدا، الذي يوصف بأنه المكان المليء بالمراعي والبهجة.

الاستنتاجات:

١ يمثل فهم كتاب أفيسا المدخل الجوهري لاستيعاب روح الحضارة الفارسية التي لم تفصل بين المادة والمعنى في تنظيم شؤون الحياة. فالدستور المزديسني جعل من النشاط الاقتصادي اليومي فعلًا تعبدية ساميًا محولًا المزارع والراعي إلى حراس للنظام الكوني.

٢ كما كشفت الدراسة أن الاقتصاد الأفيستي قام على ثنائية المادي والروحي حيث لا ينفصل الربح المادي عن النقاء الروحي في هذا المنظور الفريد. فكل نبتة تُغرس وكل رأس ماشية يُرعى هو نصر في عالم الغيب ضد قوى العدم لاسترداد العالم من قبضة أهريمن وإعادته لنور أهورامزدا وجمال خلقه.

٣ يبرز مبدأ أشا كقانون ناظم للدورة الإنتاجية في الهضبة الإيرانية القديمة لضمان ديمومة الحياة وتوازن الموارد الطبيعية المتاحة. ولقد أرسى الأفيسا وعيًا جمعيًا بأن العدل الضريبي والصدق في العقود الزراعية هما شرطان أساسيان لديمومة البركة الإلهية في الأرض، وبدون الالتزام بنظام أشا ينهار الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي وتعم الفوضى التي ينشدها أتباع الدروج والخراب.

٤ أثبت البحث أن الابتكار الهندسي المتمثل في نظام الري والقنوات كان تطبيقًا دينيًا لحماية الماء من الدنس والتبخر لا سيما في بيئة جافة وصعبة للغاية، حيث أصبح توفير الري للأرض اليابسة يوازي تلاوة آلاف الصلوات عند أهورامزدا، مما جعل التقدم التقني واجبًا إيمانيًا وحضاريًا.

(78) Mahnaz Moazami, Evil Animals in the Zoroastrian Religion, p. 308

(79) Mary Boyce, Zoroastrians..., p. 299



٥ تجسد روح الماشية في هذا البحث جوهر الاقتصاد الرعوي الذي يرفض الظلم والعنف العبيثي ضد الكائنات الحية التي تخدم الوجود البشري. فالماشية ليست مجرد سلعة مادية بل هي كيان مقدس ارتبط أصله بالقمر وبخلق الأول، وقد كرس الأفيستا ثقافة ترى في ازدهار المراعي علامة على الرضا الإلهي، جاعلاً من الراعي الصالح نموذجاً روحياً.

٦ تجلت الجوانب الإنسانية في التشريع المزديسي في منع العنف العبيثي ضد الحيوانات الحقلية لا سيما عند الذبح لغرض الغذاء الضروري للبقاء. فقد حرمت النصوص القتل الصاحب والمؤلم وأوجبت قراءة الصلوات عليه لضمان انتقال روحه بسلام، مما جعل الذبح المقدس وسيلة أخلاقية للحد من الاستهلاك العشوائي وتكريس مبدأ الرحمة المطلقة بالماشية.

٧ احتل الكلب في الفكر الأفيستي مكانة فريدة بوصفه الشريك الاقتصادي والشرعي للراعي في حماية القطعان والقرى من غارات اللصوص والوحوش. ولقد رفعت التشريعات دية الكلب لتساوي دية الإنسان وأوجبت إطعامه أفضل الطعام معتبرة أن العالم لا يقوم إلا على يقظته.

٨ يُعد تطهير البيئة من الكائنات الضارة مثل الأفاعي والجراد فعلاً إنتاجياً مباشراً في الفلسفة الاقتصادية الأفيسية لحماية مصادر الغذاء من الفساد. فالبحث أظهر أن إبادة هذه الآفات لم تكن كراهية طبيعية بل استراتيجية واعية لحماية مخازن الغلال ووفرة الألبان، حيث إن موت كل خرفستر يزيد من بركة الأرض، مما يربط بشكل مباشر بين مكافحة الآفات والنمو المستدام.

٩ ابتكر النظام الأفيستي ما يمكن تسميته بالعقوبة الإنتاجية التي تحول المذنب إلى عنصر بناء يخدم البيئة والاقتصاد المحلي في مجتمعه. فبدلاً من السجن أوجبت القوانين أعمالاً بيئية كال كفارة مثل حفر قنوات الري أو بناء الجسور أو تزويد المزارعين الفقراء بالماشية، وقد حوّل هذا الفكر التشريعي الخطيئة الشخصية إلى فرصة حقيقية لاستثمار بيئي واقتصادي ينفع المجتمع بأسره.

١٠ ختاماً، نستنتج في هذه الدراسة أن الاقتصاد الإيراني القديم كان اقتصاداً أخلاقياً متكاملًا لم يعرف الفصل بين المصلحة المادية والفضيلة الروحية السامية. ولقد قدمت نصوص أفيسا نموذجاً حضارياً يرى في بهجة الأرض سعادةً للخالق وفي عمارة الطبيعة خلاصاً للروح، وهذه الرؤية الشمولية هي التي منحت تلك الحضارة ديمومتها وقدرتها الفريدة على صياغة هوية إنسانية رصينة.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر الأولية:



١. أفیستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، مجموعة مترجمين، إعداد خليل عبد الرحمن، تحرير عبد الوهاب عزام، (دمشق، ٢٠٠٨).

٢. هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، (أبو ظبي، ٢٠٠١).

ثانيًا: المراجع الإنجليزية

3. A. V. Williams Jackson, Zoroastrian Studies: The Iranian Religion and Various Monographs, (New York, 1928).

4. Ann Lambton, Landlord and Peasant in Persia, (New York, 1991).

5. Farrokh Vajifdar, Zoroastrianism and the Environment, World Religions in Education, (London, 2008).

6. K. E. Eduljee, Were Ancient Zoroastrians & Aryans Vegetarian?, (West Vancouver-March 2015).

7. M. Djamali et al, Notes on Arboricultural and Agricultural Practices in Ancient Iran based on New Pollen Evidence, Paléorient, vol. 36.2, 2010, (Paris, 2011).

8. Mahnaz Moazami, Evil Animals in the Zoroastrian Religion, History of Religions, vol. 44, no. 4, (Chicago, 2005).

9. Mary Boyce, Zoroastrians: Their Religious Beliefs and Practices, (London, 1979).

10. Randall E. Otto, Zoroaster and the Animals, Journal of Animal Ethics, Vol. 11, No. 2, (University of Illinois Press, 2021).

11. Richard Foltz and Manya Saadi-nejad, Is Zoroastrianism an Ecological Religion?, Journal for the Study of Religion, Nature and Culture 1.4, (2007).

العلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

ثالثًا: المراجع الفارسية:

١٢. تفضلي احمد، مينوى خرد، ترجمة وتحقيق احمد تفضلي، (تهران: انتشارات بنياد فرهنگ ايران، ١٣٦٤).

١٣. سارا ميرزايي؛ نسرین رضايي، قوه جادوي حيوانات در متون پهلوي، مجله پژوهش هاي تاريخي ايران و اسلام، العدد ٢٢، بهار و تابستان ١٣٩٧، (زاهدان: جامعة سيستان و بلوچستان، ١٣٩٧).

١٤. سيد مهدي موسوي وشاهين آريا منش، اسبان ورجاوند؛ تطوّر ارجمندي اسب نزد هندي-ايرانيان، تحقيقات تاريخ اجتماعي، سال نهم، شماره اول، ١٣٩٨.



١٥. عروج نیا پروانه؛ هوشنگی، لیال، متون دینی زرتشتی و محیط زیست: نقش انسان در آبادانی زمین و طبیعت، پژوهشنامه ادیان، سال دهم، شماره بیستم، (تهران، ۱۳۹۵).
١٦. غلامرضا نوادری، قربانی در آیین زرتشت، (تبریز: انتشارات عاصم، ۱۳۹۸).
١٧. کریم جمالی، طبقات اجتماعی در متون دینی و غیر دینی ایران باستان، مجله پژوهش‌های تاریخی ایران و اسلام، العدد ٢٢، بهار و تابستان ١٣٩٧، (زاهدان: جامعة سیستان و بلوچستان، ١٣٩٧).
١٨. مجتبی مینوی، نامه تنسر به گشنسب، تصحیح مجتبی مینوی، (تهران: انتشارات خوارزمی، ١٣٥٤).
١٩. محمد حسن رزایمو، زاده عیرب یعل، بررسی ساختار های اقتصادی ارداویرافنامه، مجله پژوهش های تاریخی ایران و اسلام، شماره ٢٢، بهار و تابستان ١٣٩٧، (زاهدان، ١٣٩٧).

ملحق تعريف المصطلحات الأفسستية الواردة في متن البحث

• **سبنتا آرميتي:** تُعرف بالنقوى المقدسة أو إسفندارمذ، وهي أحد الأمشاسبندان (الكائنات النورانية) الموكلة بحماية الأرض والتربة وتخصيبها. في المنظور الأفيسستي، تُعد الأرض كائناً حياً يشعر بالألم والسرور؛ فالحرث والزراعة ليسا مجرد عمل شاق، بل هما إعلان تعبدان يُرضيان سبنتا آرميتي ويجعلانها ضاحكة وسعيدة. ويُعد المزارع هو المستخلف من قبلها للحفاظ على خصوبة التربة للأجيال القادمة، بينما تظل الأرض البائرة حزينة ومريضة تسكنها الشياطين لأنها حُرمت من رعاية الإنسان.

• **فوهو ماناه:** يُترجم بالفكر الخير أو بهمن، وهو الكائن النوراني المسؤول عن حماية الحيوانات النافعة والمواشي، ويُعد الشفيع الأول لروح البقرة أمام الخالق. يرتبط هذا المصطلح بالأخلاق الاقتصادية الرعوية؛ فالمؤمن الذي يعتني بالماشية بكد واجتهاد ويطعمها جيداً إنما يتقرب إلى فوهو ماناه. وتؤكد النصوص أن الجزء الأخروي في مرعى الحق والعقل الخير مخصص لأولئك الذين عاشوا في القرى واهتموا بالأنعام، بينما يُحرم منه القساء الذين يسلمون الماشية للعنف.

• **بارادايزا:** مصطلح أفيسستي يشير إلى البساتين المسورة أو الحدائق المحاطة بسياج، وهو الأصل اللغوي لكلمة Paradise أو الفردوس. مثلت هذه البساتين التجسيد الأرضي للفردوس السماوي، حيث كان المزارع الأفيسستي يسعى لتحويل محيطه الجاف إلى واحة مثمرة تضم العنب والجوز والأشجار المظللة. اعتبرت التشريعات أن غرس شجرة مثمرة في البارادايزا هو عمل يُكفر عن الخطايا؛ لأن الشجرة تُظهر الهواء وتقدم الغذاء والظل، وهي عناصر أهورية تساهم في خلود العالم المادي.

• **الگاهنبارات:** هي ستة أعياد موسمية تُنظم النشاط الإنتاجي والتقويم الاقتصادي الرعوي والزراعي في إيران القديمة. من أبرزها ميديوزرم (منتصف الربيع) وبايتيشاهيا (موسم الحصاد)، حيث ترتبط هذه الاحتفالات بمراحل نمو المحاصيل وتكاثر الماشية. لا تقتصر الگاهنبارات على البعد الطقسي، بل تُعد وسيلة لضمان التكافل الاجتماعي؛ إذ كان يُوزع فيها اللحم واللبن والسمن كصدقات للفقراء، مما يحول الاقتصاد الرعوي إلى شبكة اجتماعية تضمن توزيع الثروة تحت مظلة الدين.

• **دروج:** يمثل مصطلح دروج الزيف أو الفوضى، وهو النقيض اللاهوتي والاقتصادي لمبدأ آشا. في السياق الاقتصادي، ترتبط الدروج بالقبائل الرعوية الغازية التي تعتمد على اقتصاد النهب وتدمير القنوات وسرقة الماشية بدلاً من الإنتاج. يُعتبر إهمال الأرض أو الامتناع عن دفع أجور المزارعين



بمثابة نصر لقوى الدروج وسيطرة للفقر والخراب على المجتمع. لذا، فإن مهمة المزارع المستقر هي استرداد الأرض من قبضة الدروج وإعادتها لنظام الازدهار.

• **الفينديداد:** يُعرف بـ الناموس ضد الشياطين، وهو أحد الكتب الرئيسية في الأفيستا الذي يتضمن التشريعات الجنائية والبيئية والزراعية الأكثر تفصيلاً. يمثل الفينديداد دستور الإدارة المادية للأرض والموارد؛ حيث يفرض عقوبات صارمة على ملوثي المياه ومُعطلّي الإنتاج الزراعي. كما يحدد حقوق الحيوان، لاسيما الكلاب والماشية، ويحول العقوبات الجنائية إلى أعمال إنتاجية صالحة مثل حفر قنوات الري أو استصلاح الأراضي لضمان استدامة الاقتصاد المزدبيني الأخلاقي.



مجلة العلوم الأساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

JOBS



مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science



Print -ISSN 2306-5249

Online-ISSN 2791-3279

العدد التاسع والأربعون

٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ



مجلة العلوم الأساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية